

الرقص في طقوس الميلاد والزواج والوفاة لدى جماعة اليوروبا

Dance in the Yoruba Family Rites of Birth, Marriage and Death

ترجمة

د. محمد جلال حسين Mohamed.galal@cu.edu.eg

كلية الدراسات الإفريقية العليا. جامعة القاهرة، مصر.

<https://orcid.org/0000-0002-7616-6651>

تاريخ الاستلام: 2021/03/25 تاريخ القبول: 2021/04/01 تاريخ النشر: 2021/06/23
ملخص:

تهدف الدراسة الراهنة إلى إبراز وظيفة الرقص في احتفالات الميلاد والزواج والوفاة لدى جماعة اليوروبا بنيجيريا. وقد استعرضت الدراسة في المتن الرقص كظاهرة ثقافية، ثم تطرقت الدراسة إلى إبراز وظيفة الرقص في طقوس الميلاد ثم الزواج والوفاة. وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج، أهمها؛ أن الرقص الذي يتم في طقوس العبور يعد وسيلة هامة لجمع شمل الأسرة الممتدة معًا في الاحتفال بمناسبة سعيدة كانت أو حزينة. كما يعد الرقص ظاهرة متبادلة بين الأطفال ووالديهم؛ حيث يكرم الآباء أطفالهم عند ولادتهم وزواجهم؛ كما يكرم الأطفال والديهم عند الموت.

الكلمات المفتاحية: الرقص؛ اليوروبا، طقوس الميلاد، طقوس الزواج، طقوس الوفاة.

هذا المقال مترجم عن:

Aknspe, F. A. (2018). Dance in The Yorba Family Rites of Birth, Marriage and Death. JOURNAL OF INTEGRATIVE HUMANISM GHANA Vol 9. No 1., 117

Abstract :

This study aims to clarify the function of dance in celebrations of birth, marriage and death in the Yoruba community in Nigeria. The study reviewed dance as a cultural phenomenon, then focused on the function of dance in the rites of birth, marriage and death. The study reached several results, including: The dance that takes place in a rite of passage is an important way to reunite the extended family together in celebration of a happy or sad occasion. Dancing is also a mutual phenomenon between children and their parents. Where parents honor their children at birth and marriage, Children also honor their parents at death.

Keywords: dance; Yoruba, birth rites, marriage rites, death rites.

Résumé :

Cette étude vise à clarifier la fonction de la danse dans les célébrations de naissance, de mariage et de mort dans la communauté Yoruba au Nigeria. L'étude a examiné la danse en tant que phénomène culturel, puis s'est concentrée sur la fonction de la danse dans les rites de naissance, de mariage et de mort. L'étude a abouti à plusieurs résultats, notamment: La danse qui a lieu dans un rite de passage est un moyen important de réunir la famille élargie pour célébrer une occasion heureuse ou triste. La danse est également un phénomène réciproque entre les enfants et leurs parents. Là où les parents honorent leurs enfants à la naissance et au mariage, les enfants honorent également leurs parents à la mort.

Mots-clés: danse; Yoruba, rites de naissance, rites de mariage, rites de mort.

مقدمة

تعيش قبائل وشعب اليوروبا Yoruba في معظم مناطق أويو Oyo، أوجن Ogun، أونودو Ondo أوصن Osun، لاجوس Lagos وكوارا Kwara بولايات نيجيريا. ويتحدثون جميعاً لغة اليوروبا مع اختلافات قليلة في اللهجة. ويشترك شعب اليوروبا في تاريخ طويل من التقاليد الثقافية. ويجمع بينهم الاعتقاد بأن "أودودوا" Oduduwa هو الأب المؤسس للقبيلة.

وفقاً لأساطيرهم، أرسل الاله "أولدمار" Olodumare المسمى "أودودوا" Oduduwa إلى العالم بدجاجة وبعض الرمل. وقد تمكن "أودودوا" بمساعدة الدجاجة من نشر الرمال الجافة على المياه الموجودة. ويسمى المكان الذي هبط به "أودودوا" لأول مرة LLe-lfe، والمدينة كلها تعرف بكونها موطن أجداد اليوروبا.

ولقد كان لدى "أودودوا" ستة عشر ابناً، وأعطى كل منهم تاجاً مطرزاً وطلب منهم الذهاب والبحث عن مستوطنات أخرى. وتمكنوا من العثور على مستوطنات أخرى وحكموها (Akinjogbin Unpublished, 1980: 5-6).

وعلى مر السنين، امتهن شعب اليوروبا مهنة الزراعة، واتخذ نظام تعدد الزوجات الأبوي نظاماً للزواج لديهم، والذي بمقتضاه يمكن للرجل أن يتزوج أكثر من زوجة واحدة. حيث حتم عليهم الأمر الحاجة إلى مزيد من الأيدي العاملة للعمل بالزراعة. ولذلك قامت العديد من الزوجات بإنجاب العديد من الأطفال (Ademuwagun, 1965: 244).

كما يأخذ شعب اليوروبا بنظام العائلة الممتدة، ويسمى ذلك النظام لديهم إبي Ebi. ويضم "إبي" كافة الأجداد، أجداد الأجداد، الأعمام، العمات وأبناء العم بقدر ما

يمكن تتبعه. وتعيش الأسرة في منزل كبير يسمى "أجبولي" Agbole، ويرأس هذا المنزل أكبر الذكور ويطلق عليه "بالي" Balle، ويحظى باحترام جميع أعضاء الإيبي بما في ذلك الزوجات والأطفال.

وتعرف الطقوس بأنها مجموعة من الإجراءات الاحتفالية الدينية الرسمية التي يتم قبولها والاحجام عليها من قبل جماعة أو المجتمع ككل كطريقة للقيام بالأشياء. وتحاط حياة شعب اليوروبا بأكملها بسلسلة من الطقوس خاصة الولادة والزواج والموت. وفي هذا الصدد، أشار "أبيوجي" (Abioje, 2014: 11) إلى أن طقوس الجنازة التي يؤديها اليوروبا عندما يموت كبار السن والبالغين بوجه عام، تشير بوضوح إلى إيمانهم بالحياة بعد الموت. وتشمل تلك الطقوس غسل الجثة، وإلباسها أجمل الملابس، ووضع بعض الأشياء مع المتوفي يعتبرونها ذات فائدة له في الحياة الأخرى أو عالم الموتى الروحي.

وترتبط الحياة الاجتماعية لدى اليوروبا عن كثب بالمعتقدات الدينية التي تنطوي على الكثير من الطقوس، لدرجة أنه يصعب أحياناً رسم خط واضح بين المقدس والدنس. ومع ذلك، يلعب الرقص المقدس أو المندس دوراً هاماً في حياة هذا الشعب. وبالنظر لأسباب الرقص لنجدتها تتنوع بتنوع الأحداث الاجتماعية. وفي هذا الصدد، أشار هاربر (Harper, 1970: 71) إلى أن "ليس من المستغرب أن نجد الرقص كوسيلة تعبير لجميع طبقات المجتمع في المناسبات ذات الأهمية الطقسية والاجتماعية، وباعتباره الشكل الأكثر شعبية للترفيه والتسلية". كما أشار "أوجولو" (Ugolo, 2014: 234) إلى أن "الرقص ضروري بشكل خاص ويعمل كجزء لا يتجزأ من الحياة المجتمعية التي تقوم بالعديد من الوظائف الاجتماعية، والتي ترتبط أحياناً ارتباطاً وثيقاً بالعادات والطقوس. في الواقع، بالنسبة لبعض الناس، الرقص هو الوسيلة الرئيسية للتنظيم الاجتماعي".

لذلك، تصبح الحفلات المنزلية الدافئة مكاناً للتجمعات الاجتماعية التي يرقص خلالها الأصدقاء والأقارب. وترتبط الاحتفالات في ثقافة اليوروبا ارتباطاً وثيقاً بالمعتقدات الدينية، فالرقص يعد وسيلة للعبادة والشكر والاسترضاء. كما يجمع الرقص جميع أفراد المجتمع معاً، حيث يجتمع أفراد العائلة الممتدة لدى شعب اليوروبا معاً في احتفالات شعائر المرور وطقوس العبور، وخاصة الولادة والزواج والموت.

(1) الرقص كظاهرة ثقافية

يلعب الرقص في معظم المجتمعات الأفريقية دوراً هاماً في ثقافتهم. ولقد كان معروفاً منذ فترة طويلة في حياة الناس البدائيين أنه لا شيء يقترب من أهمية الرقص، فهو ليس مجرد وقت فراغ، ولكنه نشاط هام للغاية. كما أنه ليس فعل مدنس بل هو فعل مقدس. فضلاً عن كونه ليس مجرد "عرض" منفصل عن مؤسسات المجتمع الأخرى؛ ولكنه يمثل أساس بقاء النظام الاجتماعي لكونه يساهم بشكل كبير في تلبية جميع احتياجات المجتمع (Rust, 1969: 11).

وتعد ثقافة اليوروبا، مثل بقية الثقافات الأخرى في نيجيريا، لديها تاريخ طويل، كان الرقص به يمثل جزءاً جوهرياً من الثقافة. فالرقص سلوك في إطار الثقافة والمجتمع "مدمج بشكل لا ينفصل مع عدد لا حصر له تقريباً من أنواع السلوك الأخرى" وذلك من منطلق أن "الرقص ثقافة والثقافة رقص، والرقص هو المجتمع والمجتمع هو الرقص" (Merriam 1974: 9-26). وبالتالي، فإن فهم البيئة الاجتماعية الثقافية يساهم في الوصول إلى فهم أفضل للرقص في ثقافة ما، كما أن فهم الرقص يمكن أن يساهم في فهم السبب الذي جعل الناس يتصرفون بالطريقة التي يتصرفون بها.

ويمثل كلاً من الولادة والزواج والوفاة -محور اهتمام هذه الدراسة- ثلاث طقوس حيوية للمرور تحدث في محيط الأسرة اليوروبية. فهي احتفالات الحياة التي تجمع أفراد عائلة اليوروبا معاً. وطقوس المرور هي طقوس تحدد انتقال الفرد من مجموعة من الظروف المحددة اجتماعياً إلى أخرى (Plog & Bates, 1976: 230). وتشمل هذه الطقوس؛ الولادة والبلوغ والزواج والأبوة والوفاة.

(2) الرقص في طقوس الولادة

يحتل الأطفال أهمية كبرى في حياة شعب اليوروبا. حيث نجد اليوروبا يلتمسون مساعدة رجال الدين والطوائف الدينية حتى يتمكنوا من الإنجاب، كما يلتمسون مساعدتهم لحماية أرواح أطفالهم. وتعد رعاية الأطفال والوالدين ظاهرة متبادلة في ثقافة اليوروبا. حيث نجد أن الأطفال ملزمون ثقافياً برعاية والديهم عندما يصبح الوالدين غير قادرين على الاعتناء بأنفسهم. ولقد كانت الرعاية الصحية تتم من خلال الاعتماد على الكهنة والمعالجون التقليديون وليس المرافق الصحية كالمستشفيات، وظل ذلك سائداً حتى مجيء المستعمر البريطاني وتوفيره للمرافق الصحية في القرن التاسع عشر.

وعلاوة على ذلك، نجد أن استمرار العشيرة وزيادة عددها يتوقف على إنجاب الأطفال. ويعتبر الأطفال الذكور ذو أهمية بالغة لرجال اليوروبا، وذلك لأن اسم عائلة الرجل يمتد ويستمر في الوجود من خلالهم، على عكس الفتيات اللاتي غالباً ما تفقدن الأسرة بزواجهن وانتمائهن لأسر أزواجهن.

لذلك، يولي اليوروبا اهتماماً كبيراً بالاحتفال بميلاد الطفل ووصوله إلى الأسرة وتتجلى مظاهر ذلك الاحتفال في إعداد الولائم والرقص. بمجرد ولادة الطفل، يقوم والده

بإبلاغ الرجال في عائلته الممتدة وأصدقائه وجيرانه الذكور أيضاً. وفي مساء يوم الولادة يتم إقامة حفل يسمى "احتفال الفرح"، ويعرف بلغتهم "إداو إديونو" Idawo Idunnu ، ويسمح للرجال فقط بحضور هذا الاحتفال المستمر طوال الليل، والذي عادةً ما تتميز بالرقص وتبادل النكات وتناول الخمر خاصةً نبيذ النخيل. وفي الوقت نفسه، تجتمع نساء الأسرة في المنزل منتظرين قدوم الأم والطفل الجديد.

وفي الآونة الأخيرة، تفككت العائلة الممتدة لدى اليوروبا كنتيجة لهجرة ورحيل العديد من أفراد اليوروبا وذهابهم للمدن الكبرى بحثًا عن الوظائف مدفوعة الأجر. ولذلك، أصبح ميلاد طفل لأي فرد من أفراد الأسرة الممتدة سببًا لتجمع والتقاء كافة أفراد العائلة الممتدة، والقدوم من الأماكن التي انتقلوا إليها والانضمام إلى أقاربهم للاحتفال بميلاد الطفل.

بداية من اليوم الأول للولادة يستقبل الزوجان الأصدقاء والمهنيين ويقدمون لهم الكولانوت Kolanut - وهي بذور شجرة الكولا، أحد الأشجار الاستوائية. والتي تحتوي على مادة الكافيين، ومنها يشتق الطعم الأصلي للكولا والذي يستخدم في تصنيع المشروبات الغازية. -ونبيذ النخيل والمرطبات الخفيفة عند استقبالهم. ودائمًا ما يأتي الضيوف حاملين الهدايا للطفل والتي غالبًا ما تكون ملابس للطفل أو نقود. ويستمر ذلك الاحتفال حتى اليوم السابع أو التاسع (حسب جنس الطفل)، فإذا كان المولود طفلة أقيمت مراسم التسمية في اليوم السابع؛ أما إذا كان صبيًا تقام مراسم التسمية في اليوم التاسع. ولكن في الآونة الأخيرة، يتم تسمية معظم الأطفال في اليوم الثامن بغض النظر عن الجنس.

ويطلق على يوم حفل التسمية اسم "يوم تقديم الطفل للجمهور" ويعرف بلغتهم "إيجو- إيكومو- جادي" ijo-ikomo-jade. وفي هذا اليوم يحصل الطفل ولأول مرة على أسم له. ولا توجد حدود لعدد الأسماء التي تطلق على الطفل. فهناك بعض الأطفال

يطلق عليهم ما يصل إلى عشرة أسماء؛ والبعض الآخر لديه أقل من ثلاثة. ولكن مهما كان عدد الأسماء التي تطلق على الطفل قليلاً أو كثيراً، يتوجب إعطاء كل طفل اسم مدح ويطلق عليه بلغتهم "أوريكي" oriki، وهو الاسم الذي من خلاله يتم استدعاء الطفل فقط من قبل الأقارب المقربين في حالة رغبتهم في مدحه أو رغبتهم في إقناعه بالقيام ببعض الوظائف في المنزل أو تنفيذ مهمة ما. وتقع مسؤولية اختيار الاسم الدائم للطفل والذي يعرف به عمومًا على عاتق والد الطفل أو جده أو جده الأكبر إذا كان أي منهم لا يزال على قيد الحياة.

ويتم إجراء حفل التسمية في وقت مبكر جدًا من الصباح قبل شروق الشمس، حيث يجتمع جميع كبار السن في الأسرة الممتدة لوالد الطفل، رجالاً ونساءً، لتسمية المولود الجديد. وفي بعض الأحيان يحضر أفراد عائلة أم الطفل أيضًا حفل تسمية. وفي أحيان أخرى يحضر الحفل الأصدقاء والجيران ويتوقف ذلك على تقاليد العائلة.

ولكي تتم طقوس التسمية لابد من توافر بعض العناصر والمنتجات اللازمة لإجراء الطقوس، منها؛ وعاء من الماء البارد، العسل، الملح، قصب السكر (في الآونة الأخيرة، تم استبداله بالسكر)، والكولانوت، الكولا المر - الكولا المرة، والمعروفة أيضًا باسم **Garcinia cola**، وهي نبات موجود في وسط وغرب إفريقيا ويتم استخدام أوراقه وجذوره وبذوره في العلاجات التقليدية، وتستخدم بذوره أيضًا للأكل. - bitter kola، فلفل التمساح alligator pepper - وهو أحد التوابل الإفريقية، ويطلق عليه في بعض المجتمعات الإفريقية بالفلفل الأسود. - وزيت النخيل. وفي بعض الأحيان يتم إضافة بعض العناصر الأخرى ويتوقف ذلك على تقاليد العائلة.

وبالنظر لهذه العناصر المستخدمة في طقوس التسمية لنجد أن جميعها يمثل منتجات غذائية، ووجدها في الطقس له وظائف هامة -وفق تصوراتهم الثقافية. فعلى سبيل المثال، العسل وقصب السكر حلو المذاق، يتم وضع قطرة منهما على لسان المولود الجديد أثناء الصلاة المصاحبة للطقس آمليين أن تمتلئ حياة الطفل بهذه السعادة. أما الكولا المرة لها طعم مر للغاية، ولكن بعد الشرب بعدها تفسح المرارة التي يشعر بها الطفل الطريق لاستقبال المذاق الحلو. ويتم أيضًا تقطيرها للطفل، والغرض من ذلك أن يدرك الطفل أن الحياة ليست دائمًا سهلة وهينة. وليعلم أيضًا أنه إذا واجه في حياته بعض مرارة الحياة، فربما تتحول نهاية التجربة إلى فرح. فضلًا عن اعتقادهم بأن الكولا المرة تمنح الطفل العمر الطويل. أما زيت النخيل والملح، فهما من أهم مكونات الطبخ لدى اليوروبا، وتطلب الصلاة المصاحبة لهذه العناصر أن تكون حياة الطفل طيبة وهادئة. كما يتم سكب زيت النخيل على الماء المغلي لتهدئة الفقاعات وذلك لاعتقادهم بأن الزيت يدل على الهدوء.

أما الكولانوت فهي تعد من العناصر الهامة جدًا في جميع طقوس اليوروبا، حيث يتم استخدامها لعدة أغراض منها، التنبؤ لدى العرافين، للترفيه عن الضيوف عند استقبالهم، رمز للصدقة بين شخصين من خلال مشاركتهم لها، التوضيحية. وفي هذه المناسبة، يتم استخدام الكولانوت كرمز لمحاربة الشر. أما فيما يتعلق بالماء، فهو رمز للبقاء، فالطفل يعيش في الماء (الزلال) لمدة تسعة أشهر قبل ولادته، كما يعتمد عليها بعد ولادته فالماء ضرورة للبقاء. ولذلك، يتم أيضًا وضع قطرة ماء على لسان الطفل.

وبعد اكتمال الطقوس يقوم كبار السن بوضع بعض النقود في الماء واختيار الأسماء التي يتم إطلاقها على الطفل. وعادة ما يتم التفكير بعناية في الأسماء التي تعطى للطفل وغالبًا ما يتم ربطها بالظروف المحيطة بميلاده. فعلى سبيل المثال، إذا ولد طفل بعد وفاة

أحد أجداده بفترة وجيزة، يطلقون عليه بلغتهم اسم "باباتوندي" Babatunde وتعني "عاد الأب"، حيث يعتقدون أن الجد المتوفي عاد من جديد وتجسد في هذا المولود. بينما يطلقون على الطفلة التي ولدت عقب وفاة جدتها اسم "أيابودي" Iyabode أو "يتوندي" Yetunde وتعني "عادت الأم". أما في حالة وفاة الرجل قبل ولادة زوجته بوقت قصير يطلق على الطفل اسم "باباريندي" بمعنى "عاد الأب مباشرة". بينما يطلق اسم "يواندي" Yewande على الطفلة المولودة لرجل ماتت والدته عندما كان لا يزال طفلاً.

ومن الملاحظ أن وفاة أحد أفراد عائلة المرأة لا يؤثر على الاسم الذي يطلق على أطفالها، وذلك لأن الأطفال ينتمون إلى أبيهم وليس لأُمهم. كما تتضمن الأسماء الأخرى التي يتم إطلاقها على الطفل ألقاب الزعامة في الأسرة أو الأحداث الأخيرة في الأسرة قبل ولادة الطفل. كما كانت الأسماء تتأثر أيضاً بالديانات التقليدية السائدة، ولكن مع انتشار الإسلام والمسيحية واعتناق الكثير من الناس لهما، أصبحت الأسماء تتأثر بإيمان الوالدين. وبعد انتهاء طقس التسمية في الصباح يتم تقديم الطعام للمدعوين ويتمثل هذا الطعام في الفطائر المصنوعة من الفول أو الفاصوليا ويطلقون عليها بلغتهم "أكارا" Akara.

وفي مساء حفل التسمية، يحضر أفراد الأسرة والضيوف المدعوون إلى احتفال الرقص، حيث يتم إعداد فناء منزل العائلة وتجهيزه بالكراسي والطاولات المرتبة في شكل دائري، ويقام في أحد أطرافها الفرقة الموسيقية التي تقوم بعزف الموسيقى اللازمة للرقص. ويقدم للمدعوين مجموعة متنوعة من الأطعمة والمشروبات أثناء هذا الاحتفال. وبينما يأكل المدعوون ويشربون، ينضم آخرون إلى مجموعة الرقص الموجودة دائماً في الساحة. ويتيح حفل الرقص المسائي الفرصة لنساء الأسرة للرقص، ليس فقط احتفالاً بميلاد الطفل، ولكن

من أجل إمتاع أزواجهن. فهذا الاحتفال يعد من المناسبات القليلة التي يظهر فيها الرجال حبهم وعاطفتهم لزوجاتهم في الأماكن العامة.

على الرغم من أن كلاً من الرجال والنساء يرقصون معاً في الساحة، إلا أن النساء يمارسن المزيد من الرقص في مثل هذه المناسبات. ففي بعض الأحيان، ترقص النساء معاً في مجموعة ويأتي أزواجهن إلى الساحة ويضعون النقود على جباههن. قبل نهاية الحفل، الذي عادة ما يستمر حتى الساعة الرابعة صباحاً تقريباً، يتم دعوة والددة الطفل للرقص في الساحة، وتقوم بالرقص بمفردها في بادئ الأمر لفترة وجيزة، وقبل أن تنتهي رقصتها يأتي الرجال إليها ويعطونها المال ويغادرون على الفور بعد ذلك. ثم تلحق النساء الأخريات بها ويرقصن معها.

وبالتالي، يعد الرقص وسيلة للنساء لإثارة المشاعر العامة من أزواجهن وأفراد أسرة الزوج الممتدة، حيث ترقص بعض النساء في مجموعة أمام كل من الرجال المسنين الجالسين في الحشد الذين يجب عليهم تكريمهم من خلال تقديم المال لمن حتى وأن كان قليلاً.

وفي حالة ما إذا كان الطفل هو المولود الأول للزوجين أو الابن الأول بعد عدد من البنات، تقوم الأم بدعوة صديقاتها وزملائها لشراء ملابس موحدة يقومون بارتدائها ويطلق عليها بلغتهم Iro & Buba وهي المعروفة لدينا بالبلوزة والجنولة.

ويقوم الموسيقيون بدورهم خلال هذا الاحتفال، وذلك من خلال أغاني المديح التي ينشدونها للمدعوين وخاصة الأثرياء منهم، حيث يساهم ذلك في تحفيز المدعوين على تقديم المال لأسرة المولود. ويستفيد الموسيقيون أيضاً من الاحتفال. حيث يقومون بالحصول على جزء من المال الذي يقوم بدفعه المدعوين، وفي بعض الأحيان لا يتقاضى الموسيقيون الأجر من والد الطفل ويكتفون بما يحصلون عليه من الأموال التي يدفعها المدعوون.

وبالتالي، فإن الرقص في هذه الاحتفالات لا يعد وسيلة للاحتفال والترفيه فحسب؛ بل وسيلة لتوزيع الثروة أيضاً.

وبداية من يوم ولادة الطفل وحتى أربعين يوماً بعد ذلك، تبقى الأم وطفلها بالمنزل وتعتني بطفلها فقط. وبحلول اليوم الأربعون والذي يطلقون عليه "أجادي" Ijade (مراسم نزهة)، يمكن للمرأة الخروج من منزل الأسرة لتسيير شؤونها كما كان قبل ولادتها. وفي هذا اليوم تخرج المرأة حاملة طفلها على ظهرها، ومرتديان أفضل ملابسهما، متجهين لزيارة أقاربها وأصدقائها الذين زاروها منذ ولادة الطفل. ومنذ ذلك الحين، تبدأ التنشئة الاجتماعية للطفل كعضو في قبيلة اليوروبا. يصبح الرقص جانباً مهماً من حياة طفولته، لأنه في كل مرة ترقص الأم والطفل على ظهرها، ينتقل اهتزاز إيقاع جسدها إلى الطفل.

(3) الرقص في طقوس الزواج

يعد الزواج بمثابة العملية التي يتم من خلالها تقنين الإنجاب في معظم المجتمعات البشرية. وعلى الرغم من اختلاف احتفال الزواج من منطقة لأخرى، إلا أننا نجد أن هناك ثلاثة احتفالات أساسية يتخللها الرقص قبل يوم الزفاف نفسه.

في ثقافة اليوروبا، تبدأ الترتيبات اللازمة للزواج بين الرجل والمرأة بمجرد معرفة الزوج المحتمل. ويمر الزواج بعدة مراحل وطقوس وهي؛

(1-3) الطقس الأول "مقدمة رسمية بين العائلتين"

ويطلق عليه بلغتهم "ميمو أنا" Mimo Ana. وهذه المرحلة تبدأ بالترتيبات المسبقة لزيارة عائلة العريس لعائلة العروس لتقديم العرض الرسمي للزواج.

وهناك طريقتان لتلك الترتيبات المسبقة، وهي؛ إذا وعد والد الفتاة أن يزوج ابنته للشباب، فكل ما يتم فعله هو تحديد يوم التقديم العرض الرسمي للزواج مع والد العروس. ولكن إذا لم يكن هناك وعد مسبق بذلك، فإنه يتوجب على الشاب أو والده أو والدته التمهيد لذلك قبل الذهاب لمنزل أسرة العروس، وإلا فسيتم رفض هديتهم المقدمة للعروس، والتي غالبًا ما تختلف باختلاف التقاليد المحلية للمنطقة، ولكن في المجمل تكون هذه الهدية مكونه من نبذ النخيل والكولانوت (Oguntuyi, 1979: 17).

وبعد تحديد الموعد، تتجه عائلة العريس إلى منزل عائلة العروس، ويعلنون عن نواياهم في زواج أبنهم من أبنتهم، مؤكدين أنهم قاموا بالتحري عن أسرة العروس واكتشفوا كل ما يلزم معرفته عنهم، ويطلبون من أسرة العروس القيام بالتحري عنهم واخبارهم بموقفهم تجاه طلبهم بالزواج. فالزواج في ثقافة اليوروبا يمثل اتحادًا بين عائلتين، ومن المأمول أن يستمر هذا الاتحاد إلى الأبد. ولكي يتثنى ذلك، يتم إجراء تحري شامل من قبل أهل العروس تجاه أهل العريس والعكس فيما يتعلق بالمرض الجسدي أو العقلي أو السلوك الاجتماعي غير المقبول. وقبل أن تنتهي طقوس التقديم، ترقص عائلة العريس لعائلة العروس أملاً في الحصول على الموافقة على الطلب.

(2-3) الطقس الثاني "الشكر والامتنان"

ويطلق عليه بلغتهم "إيدوي" Idupe. بعد قيام أسرة العروس بالتحري عن أسرة العريس المتقدم واطمئنانهم بشأن النتائج التي توصلوا إليها، يقومون بإبلاغ عائلة العريس بالموافقة. ولقد كان سائدًا في الماضي أن يتم استشارة العرافة بشأن مدى نجاح الزواج والاتحاد بين العائلتين من عدمه، وبناء على رد العراف يتحدد مدى قبول أسرة العروس من الطلب المقدم من أهل العريس من عدمه. ولا يزال هذا يحدث بأشكال مختلفة اليوم.

وعقب حصول عائلة العريس على موافقة أهل العروس، يقومون بزيارة منزل أهل العروس مجدداً وتقديم بعض الهدايا للتعبير عن امتنانهم بقبول عرض الزواج. ويتخلل هذا الطقس تقديم أغاني المديح، التي تنشدها عائلة العريس لزوجته المستقبلية. وتقوم نساء عائلة العريس بالإنشاد والرقص مستخدمين أسم مديح العروس في إنشادهم.

وخلال هذا الطقس، يتم تحديد موعد الخطبة والزفاف. كما يتم تحديد قيمة مهر العروس الذي يقدمه الشاب لزوجته المستقبلية قبل إتمام الزفاف.

(3-3) الطقس الثالث "مراسم الخطبة"

ويطلق عليه بلغتهم "إيدانا" Idana. ويحدث هذا الطقس قبل وقت قصير من الزفاف. في بعض مناطق اليوروبا، يتم الإشراف على حفل الخطبة نساء العائلتين اللواتي سيشاركن في التفاوض على مقدار مهر العروس. ففي حالة عدم مقدرة أسرة الشاب على تلبية مطالب أسرة الفتاة، فإنهم يجهزون ما يستطيعون تجهيزه وفق قدرتهم ويختارون إحدى نسائهم اللاتي يتمتعن بالمهارة والقدرة على الإقناع والمساواة لإقناع عائلة الفتاة بقبول ما استطاعوا تجهيزه من المهر.

وعادة ما يشمل مهر العروس الآتي؛ المال؛ أحدث صيحات الموضة من الملابس يدوية الصنع باهظة الثمن والتي يطلقون عليها بلغتهم "أسو أوكي" Aso Oki، يتشددون في تقديمها حتى يضمنون أن فتاتهم سوف ترتدي الملابس اللاتقة بعد الزواج. فضلاً عن الأنواع الأخرى من الملابس النسائية؛ وأعداد محدودة من المواد الغذائية مثل (اليام Yams - نوع من أنواع الدرنات تشبه البطاطا الحلوة وتنتشر زراعتها في إفريقيا وأمريكا الجنوبية ومنطقة البحر الكاريبي وآسيا. - زيت النخيل، الكولانوت، والكولا المرة، الملح، العسل، فلفل التمساح، نبذ النخيل، والخمور المستوردة). ويتم تقاسم تلك المواد الغذائية بين كل

فرد من أفراد أسرة الفتاة. وعندما يتلقى الأعضاء نصيبهم من تلك المواد يقومون بالصلاة من أجل سعادة الفتاة في منزلها الجديد.

وتعد إتاحة الفرصة للفتاة لطلب الملابس قبل الزواج بمثابة الفرصة المناسبة لحصولها على ما تريد من زوجها دون الخوف من غيرة الزوجات الأخريات، والتي قد تحدث في حالة طلب الفتاة لذلك عقب الزواج.

وبعد إعداد المهر وتجهيزه، تقوم الزوجات الشابات من أقارب العريس بحمل جميع محتويات المهر على صواني نحاسية، متجهين مع بقية أفراد أسرة الشاب في موكبًا باتجاه منزل أسرة الفتاة، ولا يشارك العريس في هذا الموكب؛ بل يبقى في منزل أي شخص من أقاربه أو أصدقائه حتى ينتهي أقاربه من الموكب وبعد ذلك يتم استدعائه. كما تظل العروس محتجزة في غرفة مع أصدقائها وبقية فتيات العائلة الممتدة.

ويستمر الموكب في السير مصحوبًا بالغناء والرقص والتصفيق حتى الوصول للمنزل أهل العروس. وعند الوصول إلى المنزل يجدون الباب مغلقًا، ولا يسمح لهم بالدخول إلا بعد الإجابة على بعض التساؤلات الهامة مثل؛ ما هو اسم المديح الخاص بالعروس؟ ما هو تاريخ عائلة والديها؟ وهل هم على دراية ببعض أسماء مديح أهل والديها؟، وحبذا لكون كان الرد على تلك التساؤلات باللهجة الخاصة بمنطقة أهل العروس، وذلك في حالة كون العروس تنتمي لمنطقة أخرى من أرض اليوروبا تختلف عن منطقة العريس. وبعد إجابة أهل العريس على تساؤلات أهل العروس يقتنع أهل العروس بأن أهل العريس لديهم اهتمام ورغبة مؤكدة في انضمام الفتاة إلى عائلتهم.

مع فتح باب المنزل، يبدأ أهل العريس بالغناء والرقص حتى يجلسوا. وبالنسبة لهم، هذه خطوة نحو الحصول على ما يريدون. ويبدأ أهل العروس بفحص الهدايا التي جلبها أهل

العريس وإذا نالت القبول من طرفهم يبدأ أهل العريس من جديد بالغناء والرقص. ويتم سكب بعض الخمر التي جلبها أهل العريس وشربها على نخب أرواح أسلاف العائلتين الذين لم يتمكنوا من الحضور. والقيام بالصلاة بغرض أن تكون الوحدة بين العائلتين مثمرة. ثم يطلب الضيوف رؤية العروس.

وتقوم ثلاث فتيات من أسرة العروس بارتداء ملابس متطابقة تقريباً ويقمن بتغطية رؤوسهن ووجوههن حتى لا يتعرف عليهن الضيوف. واحدة من هؤلاء الفتيات - وعادة ما تكون الفتاة الثالثة هي العروس. ويتوجب يجب على أقارب العريس أن يتعرفوا على العروس، فغالبيتهم قد رأوها مسبقاً في مراسم طقس التقديم والشكر، ولكن البعض منهم لم يرها من قبل. ويتم عرض الفتيات واحدة تلو الأخرى وعلى أهل العريس التعرف على الفتاة من خلال معرفتهم ببعض السمات الشخصية والسلوكية الخاصة بالعروس كطريقة المشي. ولكن مع تكرار هذه التجربة في طقوس لزيجات مسابقة أصبح أهل العريس مدركين جيداً أن أول فتاتين ليسوا العروس وأن الغرض من ارسالهم إثارة استفزازهم.

وعند رحيل الفتاة الثانية، يبدأ الضيوف بالغناء والرقص تحسباً لظهور الفتاة الثالثة التي عادة ما تكون العروس. وعادة ما يقود الغناء أهل العريس الذين سبق لهم رؤية العروس من قبل، حيث يرددون الأغاني التي تتضمن وصف ملامح العروس. وتظهر بعد ذلك الفتاة الثالثة-العروس- والتي تؤكد لهم أنها بالفعل الفتاة التي كانوا ينتظرون رؤيتها. ثم تقوم بالتصفيق والجلوس، وتقوم النساء الأكبر سناً من عائلة العريس بتدليلها، ومسح العرق من أعلى جبهتها، وتحميتها بالمرامح اليدوية، وإنشاد الأغاني في مدحها في أجواء يسودها المرح والبهجة. وهنا، وعقب كشف الفتاة عن نفسها لأسرة العريس، يتم استدعاء العريس - والذي ينتظر في حالة من التوتر العصبي- للانضمام إلى منزل العروس.

وتتشابه الطقوس التالية بطقوس ومراسم التسمية المشار إليها مسبقاً، حيث يتم استخدام العسل، الملح، الكولانوت، الكولا المرة، وفلفل التمساح كرموز لأداء الصلاة للزوجين، والتي بمقتضاها يصبح الشاب والفتاة متزوجين بالفعل، ولا يمثل يوم الزفاف سوى انتقال الفتاة إلى منزل زوجها؛ ولكن على أية حال، لا تذهب الفتاة إلى منزل زوجها إلا بعد عقد الزواج.

ويطلق على يوم الزفاف "إيجو إيجبياو" Ijo Igbeyaw. ويتم تنظيم احتفالات الزفاف في منزل كلاً من العروس والعريس.

وعادة ما يبدأ الاحتفال في مساء يوم الزفاف، حيث يتم دعوة المئات من الناس ويتم تقديم الولائم مصحوباً بالغناء والرقص الذي تقدمه الفرقة الموسيقية، وأحياناً ما يتم دعوة أكثر من فرقة موسيقية من طرف كل عائلة. ويستمر ذلك بشكل متقطع حتى عقب منتصف الليل. وعادة ما تنسم هذه الاحتفالات بالتكلفة الباهظة.

وعند وصول العروس إلى منزلها الجديد، تقوم باستقبالها الراقصات. وبمجرد أن يسمع العريس الموسيقى الخاصة باستقبال العروس يتوجب عليه الاختباء في أحد منازل الجيران، وذلك لأنه من المحرمات أن يرى العريس عروسه أثناء دخولها لمنزله، والسبب في ذلك أن اليوروبا لديهم قول مأثور يؤكد على ضرورة عدم رؤية الرجل لزوجته أثناء دخولها. وقبل أن تطأ العروس قدمها في بوابة المنزل، يتم غسل قدميها بطريقة احتفالية لتطهيرها من أي حظ سيئ قد تجلبه إلى منزلها الجديد.

في الماضي، كان يوم الزفاف يمثل اليوم الأول الذي تطأ فيه قدم العروس منزل العريس، وأن حدث وقامت الفتاة بزيارة منزل العريس قبل عقد القران دل ذلك على سوء

التربية والانحلال. وهذه هذه القاعدة الصارمة بمثابة ضمان لبقاء الفتاة عذراء حتى موعد زواجها. ولذلك يعد يوم الزفاف ذات أهمية بالغة للفتاة.

(4) الرقص في طقوس الوفاة

في ثقافة اليوروبا، يتوقع أن يعيش كل شخص عمراً مديداً، وشيخوخة تبدأ من سن الخمسين عامًا. ولذلك، فإن كل حالة وفاة تحدث قبل هذا السن، خاصة إذا لم يكن للميت أولاد، تعد موتاً محزنًا، ولا يتم الاحتفال بهذا الموت بالرقص. لكن الاحتفال بالموت بالرقص يحدث عندما يعيش الشخص حتى سن الشيخوخة، حيث يمثل الاحتفال المصحوب بالرقص وسيلة لتقديم الشكر على طول العمر وعلى الفرصة الممنوحة للمتوفى للعيش مع أطفاله الذين يمكنهم الآن مواصلة الحياة بالاعتماد على أنفسهم.

في معظم أراضي اليوروبا، يعتقد الناس أنه بعد الموت، ترتفع الروح إلى مستوى آخر حيث تستمر الحياة. كما يعتقدون أن الأشخاص الذين يموتون صغارًا، وخاصة الأطفال، يذهبون إلى المكان الثالث للراحة. ويطلق على هؤلاء الأطفال اسم "أبيكيو" Abiku (الأطفال المتقمصون)، حيث يعتقد أن بعض المتوفين يتقمصون ويولدون مرة أخرى في صورة أحد أفراد أسرهم. ويعتقد اليوروبا أيضًا أن أرواح الموتى تصعد إلى مكانة الآلهة الأخرى ويمكنهم النظر إلى شعبهم من أعلى والحكم عليهم. ولذلك، يتم الاحتفال بالرقص لبلوغ المتوفى هذا التسلسل الهرمي الأعلى.

علاوة على ذلك، يتيح الرقص في الجنازة الفرصة لأبناء المتوفين لتكريم والديهم. كما يعد الرقص بمثابة المعاملة بالمثل بين الآباء والأطفال. فعندما يولد الطفل، يرقص الوالدان على شرف قدمومه، ويتحملون معظم نفقات حفل زفافه. لذا حان الوقت لكي يكرم هؤلاء

الأطفال والديهم على كل ما بذلوه تجاههم على مر السنين. ولذلك يصبح الموت مناسبة لتكريم الأبناء لوالديهم. وهذا سبب آخر يجعل اليوروبا يقدرون الأطفال.

وفيما يتعلق بطقوس الجنازة، نجدها تختلف منطقة لأخرى، لكن الرقص دائماً ما يصبح جزءاً منها رغم اختلافها. ولكنها تشترك في فترة الحداد التي تستمر لمدة أربعين يوماً. وبعد انتهاء طقوس الجنازة، تنظم أسرة المتوفى حفلة جنازة ويتم دعوة أحد الفرق الموسيقية للعرز كالفرق المستخدمة في حفل تسمية الطفل أو الزفاف.

والرقص في الجنازات شأنه شأن الرقص في احتفالات الولادة والزواج، حيث نجده يتسم بالإتقان في الأداء، ويحصل فيه أطفال وأفراد عائلة المتوفى على المال عند الرقص. كما أن الجنازات تمثل مناسبة تجمع جميع أفراد الأسرة معاً.

وخلاصة القول، ساعدت حالة الطقس في أرض اليوروبا التي يغلب عليها المناخ الاستوائي بأداء الرقص في الهواء الطلق، حيث تم الاحتفال بجميع طقوس المرور الموصوفة حتى الآن تحت ضوء القمر والنجوم. كما ساهم اتساع مساحة الأراضي المقام عليها الاحتفالات في الرقص بحرية تامة، وهذا جعل أيضاً حركات الرقص تكاد تكون قريبة من الأرض، كما سمح ذلك بإمكانية ميل الجسم بكل حرية إلى الأمام. كما أصبح أسلوب اللباس الفضفاض جزءاً من أداء الرقص. حيث يرقص كلاً من الرجال والنساء بأطراف ملابسهم.

خاتمة

اهتمت هذه الدراسة برصد وظيفة الرقص في الطقوس والاحتفالات، وعلاقته بثقافة اليوروبا. وقد استنتجنا أن الرقص أثناء طقوس العبور عند اليوروبا يمثل وسيلة لجمع الأسرة الممتدة معاً في الاحتفال بمناسبة سعيدة أو حزينة. كما أنها بمثابة لفنة متبادلة بين الأطفال ووالديهم؛ فبينما يكرم الآباء أطفالهم عند ولادتهم وزفافهم؛ يقوم الأطفال بدورهم بتكريم والديهم عند الموت. كما استنتجنا أن الرقص خلال حفل الخطبة يمثل لغة جسد غير لفظية يتم التعرف عليها من قبل أعضاء عائلة العروس والعريس، حيث أن من خلال دراسة السلوكيات الحركية للعروس، يمكن لعائلة العريس أن تميزها عن الفتيات الأخريات حتى عندما تكون وجوههن مغطاة.

كما يساهم الرقص في توفير مناسبات للتباهي العام بين الرجال، كما تجلّى في حفل استقبال المولود الجديد "إيداو إديونيو"؛ حيث يتيح الرقص لفرصة للنساء لإثارة العاطفة العامة لأزواجهن؛ ويتيح أيضاً الفرصة للزوجة الشابة للمطالبة بالهدايا دون الخوف من إثارة الغيرة من الزوجات الأخريات. ومن ناحية أخرى، يعد الرقص بمثابة وسيلة لتوزيع الثروة في المجتمع، كما أنه يتيح الفرصة للأصدقاء والمهنيين للانضمام إلى احتفالات الآخرين.

1. المراجع
2. Abioje, P. O. (2014). African Ancestral Heritage in Christian Interpretations. Ghana: Department of Religion and Human Values, University of Cape Coast.
3. Ademuwagun, Z. A. (1965). An Investigation of the Relationship Between Yoruba Culture and Formal Education in Nigeria. Ph.D. dissertation, Boston University School of Education.
4. Akinjogbin, O. (1980). "The Concept of Origin in Yoruba History". University of Ife Department of History Seminar Series: Unpublished.
5. Biobaku, S. O. (Ed). (1973). Sources of Yoruba History. Oxford; Clarendon Press.
6. Biobaku, S. O. (1976). The Living Culture of Nigeria. Lagos; Thomas Nelson (Nigeria) Ltd.
7. Harper, P. (1970). Odu 4. pp. 69 - 89
8. Harper, P. (1976). "Dances" The Living Culture of Nigeria. Biobaku, Sabiru (Ed.) Lagos; Thomas Nelson (Nigeria Ltd).
9. Plog, F. and Bates, D. G. (1976). Cultural Anthropology. New York; Alfred A. Knopf.
10. Merriam, A. P. (1972). "Anthropology and the Dance". In: New Dimensions in Dance Research: Anthropology and Dance – The American Indian.
11. Comstock, Tamara (Ed). New York: Committee on Research in Dance; New York University.
12. Ugolo, C. E. (2014). "Hubert Ogunde's Dance Tradition and National Development." In: Dance Journal of Nigeria. Vol. 1, No. 1. pp. 231-245.